منة الرحمن

في فضل الجود وتلاوة القرآن في رمضان

للإمام ابن رجب الحنبلي

ومعها

الإتحاف بآداب الاعتكاف

للإمام ابن القيم

جمع وتحقيق

د/عبدالحميد هنداوي

المدرس بكلية دار العلوم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبعد؛ فإن من بركات هذا الشهر بعد صوم نهاره والاجتهاد فيه بالذكر والاستغفار الاجتهاد في الجود والصدقة وتلاوة القرآن بالليل والنهار.

وهذه رسالة موجزة أردت أن أتمم بها ما يتعلق بالصيام والتلاوة، وقد اطلعت ما يستحب فقيه من كثرة

الصدقة في ذلك على رسالة لطيفة بديعة موجزة ضمـــــن كتاب الإمام ابن رجب الحنبلي لطائف المعارف أوردها في حديثه عن وظائف الطاعات في هذا الشهر الكريم فأردت أن أنشرها تعميما لنفع المسلمين.

والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة لعباده.

نص الرسالة

قال الإمام ابن رجب (رحمه الله):

في "الصحيحين"[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: **"كان النبي-صلى الله عليه وسلم-أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلرسول الله-صلى الله عليه وسلم-حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة".**

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي، وفي الصوم رقم (١٩٠٢) وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨).

وخرجه الإمام أحمد بزيادة في آخره، وهي: "**لا يسأل عن شيء إلا أعطاه**". الجود هو سعة العطاء وكثرته، والله تعالى يوصف بالجود.

وفي الترمذي[1] من حديث سعد بن أبي وقاص، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: "**إن الله جواد يحب الجود، كريم يحب الكريم**".

وفيه أيضا: من حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-عن ربه، قال: "**يقول الله تعالى: يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وحيكم**

(١) "ضعيف" قطعة من حديث أخرجه الترمذي رقم (٢٨٠٠)، ولفظه: "إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم جواد يحب الجود..."

وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد، فسأل كل إنسان منكم، ما بلغت أمنيته، فأعطيت كل سائل منكم، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر، فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه؛ ذلك بأني جواد واجد ماجد، أفعل ما أريد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردت أن أقول له: كن فيكون"[1].

وفي الأثر المشهور عن فضيل بن عياض: إن الله تعالى يقول كل ليلة: أنا الجواد ومني الجود، أنا الكريم ومني

(١) "ضعيف" رواه أحمد في "مسنده" (٥/١٥٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٥٧)، وهو ضعيف سننه (٩٢٩)، وهو عند مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧) بغير هذا اللفظ.

الكرم. فالله سبحانه وتعالى أجود الأجودين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة، كشهر رمضان، وفيه أنزل قوله تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان**﴾[1].

وفي الحديث الذي خرجه الترمذي[2] وغيره "**أنه ينادي فيه مناد: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة**".

ولما كان الله عز وجل قد جبل نبيه-صلى الله عليه وسلم-على أكمل الأخلاق وأشرفها، كما في حديث أبي

---

(١) البقرة : ١٨٦.

(٢) "حسن" أخرجه الترمذي رقم (٦٨٢) وكذا ابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (٧٥٩).

هريرة، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وذكره مالك في الموطأ[1] بلاغاً. فكان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أجود الناس كلهم.

وخرج ابن عدي[2] بإسناد فيه ضعف من حديث أنس مرفوعاً: **"ألا أخبركم بالأجود الأجود؟ الله الأجود الأجود، وأنا أجود بني آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه، يبعث يوم القيامة أمة وحده،**

---

(١) الموطأ (٢/٩٠٤)، وكذا أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والحاكم وغيره، كما في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

(٢) الكامل لابن عدي (١/٣٥٠)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/١٣)، وقال: "رواه أبو نعيم وفيه سويد بن عبدالعزيز وهو متروك".

ورجل جاد بنفسه في سبيل الله" فدل هذا على أنه-صلى الله عليه وسلم-أجود بني آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة.

وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق؛ من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم.

ولم يزل-صلى الله عليه وسلم-على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: والله، لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتقري

الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق[1].

ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة.

وفي "الصحيحين"[2] عن أنس، قال: "**كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس وأشجع الناس، وأجود الناس**". وفي "صحيح مسلم"[3] عنه، قال:

---

(١) جزء من حديث طويل عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه البخاري في بدء الوحى(٣)، وأخرجه مسلم في الإيمان (١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد مطولاً رقم (٢٨٥٧)، ومسلم رقم (٢٣٠٧).

(٣) رقم (٢٣١٢) في الفضائل.

"ما سئل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة". وفي رواية له: إن رجلا سأل النبي-صلى الله عليه وسلم-غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر.

قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. وفيه[1] أيضا: عن صفوان بن أمية، قال: لقد

(١) أخرجه مسلم في الفضائل رقم (٢٣١٣)، وغيره.

أعطاني رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ما أعطاني، وإنه لمن أبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي. قال ابن شهاب: أعطاه يوم حنين مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة. وفي مغازي الواقدي أن النبي-صلى الله عليه وسلم-أعطى صفوان بن أمية يومئذٍ واديا مملوءاً إبلاً ونعماً، فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي. وفي "الصحيحين"[1] عن جبير بن مطعم: أن الأعراب علقوا بالنبي-صلى الله عليه وسلم-مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم، فقال: **"لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا،**

(١) أخرجه البخاري في الجهاد رقم (٢٨٢١)، وليس عند مسلم.

ولا كذوبا، ولا جبانـًا".

وفيهما[1] عن جابر، قال: **"ما سئل رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئا فقال: لا"، وإنه قال لجـابر: لو جاءنا مال البحرين لقد أعطيتـك هكـذا وهكـذا وهكذا، وقال بيديه: جميعا"**. وخرج البخـاري[2] مـن حديث سهل بن سعد: أن شملة أهديت للنبي -صلـى الله عليه وسلم- فلبسها وهو محتاج إليها، فسأله إياها رجـل فأعطاه، فلامه الناس، وقالوا: كان محتاجا إليهـا، وقـد علمت أنه لا يرد سائلا، فقال: إنما سألتها لتكون كفني،

(١) أخرجه البخاري في الأدب رقم (٦٠٣٤)، ومسلم في الفضائل رقم (٢٣١١).

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز رقم (١٢٧٧) وغيره.

فكانت كفنه. وكان جوده-صلى الله عليه وسلم-كله لله عز وجل، وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال: إما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه.

وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاء يعجز عنه المملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع. وكان قد أتاه-صلى الله عليه وسلم-سبي مرة، فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت، وطلبت منه خادماً يكفيها مؤونة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير

والتحميد عند نومها، وقال: "**لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع**[1]. وكان جوده-صلى الله عليه وسلم-يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة.

ذكر[2] ابن إسحاق عن وهب بن كيسان، عن عبيد بن عمير، قال: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

---

(١) أخرجه البخاري في فرض الخمس (٣١١٣)، وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم (٥٧٢٧)، وهو حديث على وفاطمة ورواه أحمد في "المسند" ١/٧٩، ٩٦، ١٠٦، ١٥٣.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٣٥-٢٣٦.

يجاور في حراء من كل سنة شهراً، يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله تعالى برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل من الله عز وجل. ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك؛ فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام، وهو أفضل الملائكة وأكرمهم، ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق.

وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا الكتاب له خلقاً بحيث يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حث عليه، ويمتنع مما زجر عنه؛ فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله في هذا الشهر؛ لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام، وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم، الذي يحث على المكارم والجود. ولا شك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقاً من المخالط. كان بعض الشعراء قد امتدح ملكاً جواداً، فأعطاه جائزة سنية، فخرج بها من عنده وفرقها كلها على الناس، وأنشد[1]:

(١) أحد بيتين مشهورين لابن الخياط، مدح بهما المهدي، وهما في الأغاني ١٤/١٨، وأمالي المرتضى ٥٢٢/١.

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى

ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فبلغ ذلك الملك فأضعف له الجائزة. وقد قال بعض الشعراء يمتدح بعض الأجواد ولا يصلح أن يكون ذلك إلا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-[1]:

تعود بسط الكف حتى لو أنه

ثناها لقبض لم تجبه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللا

كأنك تعطيه الذي أنت سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته

---

(١) الأبيات عدا البيت الثاني في ديوان أبي تمام ٢٩/٣.

فلجته المعروف والجود ساحله

ولو لم يكن في كفه غير روحه

لجـــاد بهـــا فليتق الله سائلـــه

سمع الشبلي قائلا يقول: يا الله! يا جـــــواد! فتـــأوه وصاح، وقال: كيف يمكنني أن أصف الحق بالجود ومخلوق يقول في شكله، فذكر هذه الأبيات، ثم بكى، وقال بلى يا جواد؛ فإنك أوجدت تلك الجوارح، وبسطت تلك الهمم، فأنت الجواد كل الجواد؛ فإنهم يعطون عن محدود وعطاؤك لا حد له ولا صفة، فيا جواداً يعلو كل جواد، وبه جـــاد كل من جاد.

وفي تضاعف جوده-صلى الله عليه وسلم-في شـــهر

رمضان بخصوصه فوائد كثيرة؛

منها: شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه. وفي الترمذي[1] عن أنس مرفوعاً: "**أفضل الصدقة صدقة في رمضان**".

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا.

وفي حديث زيد بن خالد عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: "**من فطر صائما فله مثل أجره، من غير أن**

(١) "ضعيف" انظر ضعيف الجامع (١١١٧)، وراجع الإرواء (٨٨٩).

ينقص من أجر الصائم شيء". خرجه الإمام أحمد[1]، والنسائي والترمذي، وابن ماجه. وخرجه الطبراني[2] من حديث عائشة، وزاد: "**وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان أجره لصاحب الطعام ما دام قوة الطعام فيه**".

وخرج ابن خزيمة في "صحيحه"[3] من حديث سلمان مرفوعاً حديثا في فضل شهر رمضان، وفيه: "**وهو شهر المواساة، وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن؛ من فطر**

---

(١) "صحيح" رواه أحمد في "المسند" (٤/١١٤، ١١٦)، والترمذي رقم (٨٠٧)، وابن ماجه رقم (١٧٤٦)، وانظر صحيح الجامع (٦٤١٥).

(٢) ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/١٥٧) وقال: "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي، وهو متروك".

(٣) "ضعيف" وقد سبق، وإسناده ضعيف.

فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء".

قالوا: يا رسول الله! ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. قال: "يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة ماء. ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة".

ومنها أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر. والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**"[1].

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز رقم (١٢٨٤)، وكذا مسلم رقم (٩٢٣).

فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل. والجزاء من جنس العمل.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما في حديث علي رضي الله عنه، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: "**إن في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها". قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: "لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**"[1].

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه

(١) "حسن" أخرجه الترمذي رقم (١٩٨٥)، أحمد في "المسند" ٣٤٣/٥ ، والحاكم في "المستدرك" (٨٠/١ ، ٣٢١)، وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (٢١٢٣).

للمؤمن الصيام، والقيام؛ والصدقة، وطيب الكلام؛ فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث.

والصيام والصلاة والصدقة توصل صاحبها إلى الله عز وجل؛ قال بعض السلف: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصيام يوصله إلى باب الملك، والصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك. وفي صحيح مسلم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "**من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: ما**

(١) أخرجه مسلم في الزكاة (١٠٢٨).

اجتمعن في امرىء إلا دخل الجنة".

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصاً إن ضم إلى ذلك قيام الليل. فقد ثبت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: "**الصيام جنة**"[1]. وفي رواية: "**جنة أحدكم من النار كجنته من القتال**"[2].

وفي حديث معاذ عن النبي-صلى الله عليه وسلم-

---

(١) هو قطعة من حديث أخرجه البخاري رقم (١٨٩٤) ومسلم رقم (١١٥١).

(٢) أخرجه النسائي (١٦٧/٤) في الصوم، ورواه أيضا ابن ماجه رقم (١٦٣٩)، وأحمد في المسند (٢٢/٤، ٢١٧)، وأورده الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (١٣٢٨)، وانظر صحيح الجامع (٣٨٧٩).

قال: "**الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفئ الماء النار. وقيام الرجل من جوف الليل**"[1]، يعني أنه يطفىء الخطيئة أيضا. وقد صرح بذلك في رواية الإمام أحمد. وفي الحديث الصحيح[2] عنه-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: "**اتقوا النار ولو بشق تمرة**". كان أبو الدرداء يقول: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبر. صوموا يوما شديداً حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير.

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي رقم (٢٦١٩) ، ورواه أحمد أيضا في "المسند" (٥/٢٣١)، وابن ماجه رقم (٣٩٧٣)، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٠٩)، وراجع الإرواء (٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة رقم (١٤١٧)، وفي مواضع كثيرة من صحيحه، ومسلم (١٠١٦).

ومنها: أن الصيام لابد أن يقع فيه خلل ونقص؛ وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه؛ كما ورد ذلك في حديث خرجه ابن حبان في صحيحه. وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي، ولهذا نهي أن يقول الرجل: صمت رمضان كله، أو قمته كله. فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث. والصيام والصدقة لهما مدخل في كفارات الإيمان، ومحظورات الإحرام، وكفارة الوطء في رمضان. ولهذا كان الله تعالى قد خير المسلمين في ابتداء الأمر بين الصيام وإطعام المسكين، ثم نسخ ذلك،

وبقي الإطعام لمن يعجز عن الصيام؛ لكبره. ومن أخر قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر، فإنه يقضيه ويضم إليه إطعام مسكين لكل يوم، تقوية له عند أكثر العلماء، كما أفتى به الصحابة. وكذلك من أفطر لأجل غيره، كالحامل والمرضع؛ على قول طائفة من العلماء.

ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا أعان الصائمين على التقوى على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله، وآثر بها، أو واسى منها. ولهذا يشرع له تفطير الصوام معه إذا أفطر؛ لأن الطعام يكون محبوباً له حينئذ، فيواسى منه، حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه ، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام

والشراب له، ورده عليه بعد منعه إياه؛ فإن هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها. وسئل بعض السلف: لم شرع الصيام؟ قال: ليذوق الغنى طعم الجوع فلا ينسى الجائع. وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده. وقد ذكرنا فيما تقدم حديث سلمان المرفوع، وفيه: "**وهو شهر المواساة**" فمن لم يقدر فيه على درجة الإيثار على نفسه فلا يعجز عن درجة أهل المواساة[1]. كان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون، وكان ابن عمر يصوم، ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعهم أهله عنه، لم يتعش تلك الليلة. وكان إذا جاءه

(١) "ضعيف" وقد سبق .

سائل وهو على طعامه، أخذ نصيبه من الطعام وقام، فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة، فيصبح صائما و لم يأكل شيئا.

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً، وكان صائما، فوضع بين يديه عند فطوره، فسمع سائلا يقول: من يقرض الملي الوفي الغني؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات. فقام فأخذ الصحفة فخرج بها إليه، وبات طاوياً. وجاء سائل إلى الإمام أحمد، فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره، ثم طوى وأصبح صائما. وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعا، ويجلس يروحهم وهم يأكلون. وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر

الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم. سلام الله على تلك الأرواح. رحمة الله على تلك الأشباح؛ لم يبق منهم إلا أخبار وآثار. كم بين من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار.

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وله فوائد أخر: قال الشافعي رضي الله عنه: أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله- صلى الله عليه وسلم-، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم. وكذا قال القاضي أبو يعلى وغيره من أصحابنا أيضا. ودل

الحديث أيضا على استحباب دراسة القرآن في رمضـــان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له. وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة عليها السلام عن أبيها-صلى الله عليه وسلم-"**أنه أخبرها: أن جبريل-عليه السلام-كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين**"[1].

وفي حديث ابن عباس[2] :"**أن المدارسة بينه وبـــين**

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في المناقب رقم (٣٦٢٤)، ومسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٤٥٠).

(٢) رواه البخارى في بدء الوحي (٥)، وفي مواضع كثيرة من صحيحـــه،

جبريل كانت ليلا"، فدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلا؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا**﴾[1]. وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾[2]. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر. ويشهد لذلك

ورواه مسلم رقم (٢٣٠٨).

(١) المزمل : ٦.

(٢) البقرة : ١٨٥.

قوله تعالى: ﴿**إنا انزلناه في ليلة القدر**﴾[1] ، وقوله: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**﴾[2] .

وقد سبق عن عبيد بن عمير أن النبي-صلى الله عليه وسلم-بدىء بالوحي ونزول القرآن عليه في شهر رمضان.

وفي :المسند"[3] عن واثلة بن الأسقع، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: "**نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من**

---

(١) القدر : ١.

(٢) الدخان : ٣.

(٣) "حسن أخرجه في المسند" أحمد (١٠٧/٤)، وغيره، وانظر صحيح الجامع (١٤٩٧).

رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". وقد كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره، وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان، قال: فقرأ بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل. قال: فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فآذنه بالصلاة. خرجه الإمام أحمد[1]، وخرجه النسائي، وعنده: أنه ما صلى إلا أربع ركعات.

وكان عمر قد أمر أبي بن كعب وتميماً الداري أن

(١) "صحيح" أخرجه أحمد (٥/٤٠٠)، والنسائي (٢/٢٢٤)، وانظر صحيح النسائي (١٠٨٥).

يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارىء يقرأ بالمائتين في ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر. وفي رواية: أنهم كانوا يربطون الحبال بين السواري، ثم يتعلقون بها. وروي أن عمر جمع ثلاثة قراء، فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ بالناس ثلاثين، وأوسطهم بخمس وعشرين، وأبطأهم بعشرين. ثم كان في زمن التابعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات، فإن قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا أنه قد خفف. قال ابن منصور: سئل إسحاق بن راهويه: كم يقرأ في قيام شهر رمضان؟ فلم يرخص في دون عشر آيات. فقيل له: إنهم لا يرضون. فقال لا

رضوا، فلا تؤمهم إذا لم يرضوا بعشر آيات من البقرة، ثم إذا صرت إلى الآيات الخفاف فبقدر عشر آيات من البقرة، يعني في كل ركعة. وكذلك كره مالك أن يقرأ دون عشر آيات.

وسئل الإمام أحمد عما روي عن عمر كما تقدم ذكره في السريع القراءة والبطيء؟ فقال: في هذا مشقة على الناس ولا سيما في هذه الليالي القصار. وإنما الأمر على ما يحتمله الناس. وقال أحمد لبعض أصحابه، وكان يصلي بهم في رمضان: هؤلاء قوم ضعفي، اقرأ خمساً، ستاً، سبعا. قال: فقرأت فختمت ليلة سبع وعشرين. وقد روي عن الحسن: أن الذي أمره عمر أن يصلي بالناس

كان يقرأ خمس آيات، ست آيات. وكلام الإمام أحمد يدل على أنه يراعي في القراءة حال المأمومين، فلا يشق عليهم. وقاله أيضا غيره من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم. وقد روي عن أبي ذر "أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قام بهم ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، وليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل. فقالوا له: لو نفلتنا بقية ليلتنا؟ فقال: "**إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته**". خرجه أهل السنن[1] وحسنه الترمذي.

---

(١) "صحيح" جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود رقم (١٣٥٧)، والترمذي رقم (٨٠٦) والنسائي (٣/٨٣، ٨٤)، وانظر صحيح الجامع (١٦١٥).

وهذا يدل على أن قيام ثلث الليل ونصفه يكتب به قيام ليلة، لكن مع الإمام.

وكان الإمام أحمد يأخذ بهذا الحديث ويصلي مع الإمام ينصرف، ولا ينصرف حتى ينصرف الإمام. وقال بعض السلف: من قام نصف الليل فقد قام الليل.

وفي سنن أبي داود[1]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: "**ومن قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من**

(١) "صحيح" أخرجه أبو داود (١٣٩٨) في الصلاة، وانظر صحيح الجامع (٦٤٣٩)، وراجع الصحيحة (٦٤٢).

المقنطرين". يعني أنه يكتب له قنطار من الأجر. ويروى من حديث تميم وأنس مرفوعاً: "**من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قيام ليلة**"[1]. وفي إسنادهما ضعف. وروي حديث تميم موقوفاً عليه، وهو أصح.

وعن ابن مسعود، قال: "من قرأ في ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار".

ومن أراد أن يزيد في القراءة ويطيل، وكان يصلي لنفسه فليطول ما شاء، كما قاله النبي-صلى الله عليه

(١) رواه أحمد في "مسنده" (٤/١٠٣)، وانظر الأحاديث الصحيحة رقم (٦٤٤)، وصحيح الجامع (٦٤٦٨)، وفيه: "كتب له قنوت ليلة".

وسلم-. وكذلك من صلى بجماعة يرضون بصلاته. وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع؛ منهم قتادة. وبعضهم في كل عشر؛ منهم أبو رجاء العطاردي. وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها؛ كان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث. وكان قتادة يختم كل سبع دائما، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة. وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة. وعن أبي حنيفة نحوه. وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان.

وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

قال ابن عبد الحكيم: كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. وقال عبد الرازق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن. وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت. وقال سفيان: كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف، وجمع إليه أصحابه. وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك.

فأما في الأوقات المفضلة، كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة، كمكة-شرفها الله-لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتناما للزمان والمكان. وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم، كما سبق ذكره.

واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه، جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام. فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما، وصبر عليهما، وفي أجره بغير حساب. قال كعب: ينادي يوم القيامة مناد:إن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد غير أهل

القرآن والصيام، يعطون أجورهم بغير حساب، ويشفعان له أيضا عند الله عز وجل، كما في "المسند"[1] عن عبد الله بن عمرو، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: "**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي رب! منعته الطعام والشهوات بالنهار. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان**". فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها، سواء كان تحريمها يختص بالصيام، كشهوة الطعام، والشراب، والنكاح، ومقدماتها، أو لا يختص به، كشهوة فضول الكلام المحرم،

(١) "صحيح" رواه أحمد في "المسند" (١٧٤/٢)، وكذا الحاكم والطبراني والبيهقي، كما في صحيح الجامع (٣٨٨٢).

والنظر المحرم، والسماع المحرم، والكسب المحرم؛ فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها، فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يا رب! منعته شهواته، فشفعني فيه. فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته.

فأما من ضيع صيامه و لم يمنعه مما حرمه الله عليه، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه؛ ويقول له: ضيعك الله كما ضيعتني. كما ورد مثل ذلك في الصلاة. قال بعض السلف: إذا احتضر المؤمن، يقال للملك: شم رأسه. قال: أجد في رأسه القرآن. فيقال: شم قلبه. فيقول: أجد في قلبه الصيام، فيقال: شم قدميه، فيقول: أجد في قدميه القيام. فيقال: حفظ نفسه حفظه الله عز وجل.

وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل، فإن من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له.

وقد ذكر النبي-صلى الله عليه وسلم-رجلاً، فقال: **"ذاك لا يتوسد القرآن"**[1]. يعني لا ينام عليه فيصير له كالوسادة.

وخرج الإمام أحمد[2] من حديث بريدة مرفوعاً: **"إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره،**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٤٩).

(٢) مسند أحمد (٥/٣٤٨)، وكذا أخرجه البغوي في شرح السنة (٤/٤٥٣، ٤٥٤)، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٥٩) رجاله رجال الصحيح، قلت: ولبعضه شاهد عند مسلم (٨٠٥).

كالرجل الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي اظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وكل تاجر من وراء تجارته؛ فيعطي الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ؛ هذا كان أو ترتيلا" وفي حديث عبادة بن الصامت الطويل: "إن القرآن يأتي صاحبه في القبر، فيقول له: أنا الذي كنت أسهر ليلك، وأظمىء نهارك، وأمنعك شهواتك، وسمعك وبصرك؛ فستجدني من الأخلاء خليل صدق. ثم يصعد فيسأل له فراشا ودثاراً، فيؤمر بفراش من الجنة، وقنديل من الجنة، وياسمين من الجنة. ثم يدفع

القرآن في قبلة القبر، فيوسع عليه ما شاء الله من ذلك".

قال ابن مسعود: ينبغي لقارىء القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وحزنه إذا الناس يفرحون.

قال محمد بن كعب: كنا نعرف قارىء القرآن بصفرة لونه. يشير إلى سهره وطول تهجده.

قال وهيب بن الورد: قيل لرجل: ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي. وصحب رجل رجلاً شهرين، فلم يره نائماً، فقال: ما لي لا أراك نائماً؟ قال:

إن عجائب القرآن أطرن نومي؛ ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في أخرى.

قال أحمد بن أبي الحواري: إني لاقرأ القرآن وأنظر في آية آية، فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله؟ أما إنهم لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم فرحاً بما قد رزقوا. وأنشد ذو النون المصري:

منع القرآن بوعده ووعيده

مقل العيون بليلها لا تهجع

فهموا عن الملك العظيم كلامه

فهما تذل له الرقاب وتخضع

فأما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل و لم يعمل به النهار، فإنه ينتصب القرآن خصماً له، يطالبه بحقوقه التى ضيعها. وخرج الإمام أحمد[1] من حديث سمرة: **"أن النبي-صلى الله عليه وسلم-رأى في منامه رجلاً مستلقياً على قفاه ورجل قائم بيده فهر أو صخرة، فيشدخ به رأسه فيتدهده الحجر، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان، فيصنع به مثل ذلك، فسأل عنه، فقيل له: هذا رجل آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل به بالنهار، فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة".**

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (٥/١٤).

وقد خرجه البخاري[1] بغير هذا اللفظ.

وفي حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: "**يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً، فيؤتي بالرجل قد حمله فخالف أمره، فيتمثل له خصماً، فيقول: يا رب! حملته إياي؛ فبئس حامل تعدى حدودي، وضيع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي. فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذ بيده، فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار.**

(١) أخرجه البخاري في الجنائز (١٣٨٦)، وهو حديث سمرة الطويل في الرؤيا .

ويؤتي بالرجل الصالح كان قد حمله وحفظ أمـــره، فيتمثل خصما دونه، فيقول: يا رب! حملته إياي، فخير حامل؛ حفظ حدودي، وعمل بفرائضـــي، واجتنـــب معصيتي، واتبع طاعتي، فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذ بيده، فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق، ويعقد عليه تاج الملـــك، ويســـقيه كـــأس الخمر"[1].

يا من ضيع عمره في غير الطاعة! يا مـــن فـــرط في شهره، بل في دهره وأضاعه يا من بضاعتـــه التســـويف

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٠/٤٩١)، ومن طريقه أبو نعيم في "الحلية" (٢/٢٢٠)، وفيه عنعنة محمد بن إسحاق هو مدلس.

والتفريط، وبئست البضاعة! يا من جعل خصمه القـــرآن وشهر رمضان، كيف ترجـــو ممـــن جعلتـــه خصمـــك الشفاعة؟!

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وقـــائم حظه من قيامه السهر. كل قيام لا ينهي عـــن الفحشـــاء والمنكر لا يزيد صاحبه إلا بعدا، وكل صيام لا يصان عن قول الزور والعمل به لا يورث صاحبه إلا مقتاً وردا.

يا قوم! أين آثار الصيام؟ أين أنوار القيام؟

إن كنت تنوح يا حمام البان

للبين فأين شاهد الأحزان

أجفانك للدموع أم أجفاني

لا يقبل مـــدّع بلا برهان

هذا-عباد الله-شهر رمضان الذي أنزل فيه القـــرآن وفي بقيته للعابدين مستمتع.

وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع. وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصـــــدع. ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع! ولا قيام استقام فيرجى في صاحبـــه أن يشفع! قلوب خلت من التقوى فهـــى خـــراب بلقـــع، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع.

كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة. وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة؛ لا الشاب مما ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة. أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة، وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلْوَه، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار؟ أفما لنا فيهم أسوة؟! كم بيننا وبين حال أهل الصفا؟! أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة. كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله.

يا نفس فاز الصالحون بالتقى وأبصروا الحق وقلبي قد عمي
يا حسنهم والليل قد جنهم ونورهم يفوق نور الأنجم

ترنموا بـــالذكر في ليلهـــم فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغـــت دموعهم كلؤلؤ منتظـــم
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت وخلع الغفران خير القسم
ويحك يا نفـــس إلا تيقـــظ ينفع قبل أن تزل قدمـــي
مضى الزمان في توان وهوى فاستدركي ما قد بقي واغتنمي

الإتحاف

بآداب الاعتكاف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً نبيه ومصطفاه صلوات ربي وسلامه عليه.

وبعد؛ فإن من معالم هذا الشهر المهمة وسننه المشروعة التي حافظ عليها النبي-صلى الله عليه وسلم-سنة الاعتكاف فيه، وقد كان أغلب اعتكاف النبي-صلى الله عليه وسلم-في العشر الأواخر منه تحريا لليلة القدر فيها.

ولابد من معرفة آداب الاعتكاف وسننه وهدي النبي-صلى الله عليه وسلم-فيه حتى يكون اعتكافا مقبولا

يحبه الله ويرضاه.

وهذه رسالة موجزة في أحكام الاعتكاف وآدابه للإمام العلامة بن قيم الجوزية (رحمه الله) رأيت أن أقدمها لإخواني لما تشتمل عليه من فائدة جليلة قلما رأيت من نبه عليها في بيان حكمة الاعتكاف، مع التنبيه على قواعده وآدابه التى شرع لأجلها، وقد علقت عليها بما يزيد من فائدتها (إن شاء الله تعالى) مع الانتفاع بتعليقات محققي زاد المعاد آل أرناؤوط جزاهما الله خير الجزاء، وكذا تحقيقات الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله، وأسأل الله تعالى أن يجعلها نافعة لعباده وأن يخلص نوايانا في سائر الأعمال.

فصل في هديه (ﷺ) في الاعتكاف[1]

لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره

---

(١) الاعتكاف: سنة مستحبة في رمضان وغيره من أيام السنة لقوله-صلى الله عليه وسلم-: "من اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخافقين" قال الشيخ الألباني في (قيام رمضان) أخرجه ابن خزيمة (١١٠٤، ١١٠٥) من حديث عائشة وأنس رضى الله عنهما بإسنادين يقوى أحدهما الآخر، وانظر صفة الصلاة ص١٤٠ اهـ.

واعلم-رحمك الله-أن الاعتكاف جائز في المساجد كلها، وهو قول الجمهور خلافا لمن خصصه بالمساجد الثلاثة؛ ولذا فقد ترجم الإمام البخارى في صحيحه في كتاب الاعتكاف باب: الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها لقوله تعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آيته للناس لعلهم يتقون﴾[البقرة: ١٨٧].

إلى الله تعالى، متوقفا على جمعيته على الله، ولم شعثه فإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثا، ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه، أو يعوقه ويوقفه: اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يُذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي

مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولى عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلا عن أنسه بالخلق، فيُعدُّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم[1].

(١) من هنا تعلم أن ما أحدثه الناس اليوم من الاجتماع في المساجد العظيمة أو غيرها بقصد الاعتكاف بزعمهم ثم يقضون غالب وقتهم بعد ذلك في حوار وجدال مع بعضهم البعض أو في طهى الطعام وإعداده، وغير

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم، شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم، وهو العشر الأخير من رمضان، ولم ينقل عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه اعتكف مفطراً قط، بل قد قالت عائشة: لا اعتكاف إلا بصوم[1]. ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم،

ذلك، بل كثيرا ما يحدث في الاجتماع على الطعام وغيره في تلك الأنواع المحدثة من الاعتكاف تجاوز عظيم بالانبساط في الحديث والمزاح وغير ذلك مما يفسد مقصود الاعتكاف الذي نبه عليه الشيخ هنا رحمه الله.

(١) قال محققه: أخرجه عبد الرّزاق (٨٠٣٧) بلفظ: "من اعتكف، فعليه الصوم" من حديث الثورى، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن عائشة، وأخرج أبو داود (٢٤٧٣) في الصوم: باب المعتكف يعود مريضا، والبيهقي ٤/٣١٥، والدارقطنى ص٢٤٧ أنها قالت: "السنة على المعتكف ألا يعود مريضا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها ولا يخرج

ولا فعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا مع الصوم.

فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف: **"أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية"**.

وأما الكلام، فإنه شرع للأمة حبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الآخرة.

وأما فضول المنام، فإنه شرع لهم من قيام الليل ما هو

لحاجة إلا لما لابد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع" وسنده قوى، وباشتراط الاعتكاف في الصوم قال ابن عمر وابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٨٠٣٣) عنهما ورجاله ثقات وبه قال مالك والأوزاعى والحنفية، واختلف عن أحمد وإسحاق، وانظر "تهذيب السنن" ٣/٣٤٤، ٣٤٩ لابن القيم .

أفضل من السهر وأحمده عاقبة، وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن، ولا يعوق عن مصلحة العبد، ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك على هذه الأركان الأربعة، وأسعدُهم بها من سلك فيها المنهاج النبوي المحمدى، ولم ينحرف انحراف الغالين، ولا قصرٌ تقصير المفرِّطين، وقد ذكرنا هديه-صلى الله عليه وسلم-في صيامه وقيامه وكلامه، فلنذكر هديه في اعتكافه.

وكان-صلى الله عليه وسلم-يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله عز وجل[1]، وتركه مرة،

(١) أخرجه البخارى ٤/٢٣٥، ٢٣٦ في الاعتكاف: باب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان. ومسلم (١١٧٢) في الاعتكاف: باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان من حديث عائشة رضى الله عنها.

فقضاه في شوال[1].

واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الأوسط، ثم العشر الأخير، يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخير[2]، فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل.

وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه عز وجل.

وكان إذا أراد الاعتكاف، صلى الفجر، ثم دخله،

---

(١) أخرجه البخارى ٤/٢٤٤، ٢٤٥ في الاعتكاف: باب الاعتكاف في شوال، ومسلم (١١٧٣) من حديث عائشة أيضا.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٧) (٢١٥) في الصيام: باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، وبيان محلها وأرجى أوقاتها من حديث أبي سعيد الخدري.

فأمر به مرة فَضُرب، فأمر أزواجه بأخبيتهن فَضُرِبت، فلما صلى الفجر، نظر فرأى تلك الأخبية، فأمر بخبائه فقُوِّض، وترك الاعتكاف في شهر رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال[1].

وكان يعتكف كل سنة عشر أيام، فلما كان في العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما، وكان يعارضه جبريل بالقرآن[2] كل سنة مرة، فلما كان ذلك العام

---

(١) أخرجه البخاري ٤/٢٣٨، ٢٣٩ في الاعتكاف: باب اعتكاف النساء، ومسلم (١١٧٣) (٦) في الاعتكاف: باب متى يدخل من أراد الاعتكاف في معتكفه؟

(٢) يستفاد من ذلك جواز مدارسة القرآن وعرضه على المشايخ في الاعتكاف، والانشغال بتدبره ومعرفة معانيه، والتحدث بذلك مع إخوانه،

عارضه به مرتين، وكان يعرض عليه القرآن أيضا في كل سنة مرة فعرض عليه تلك السنة مرتين[1].

وكان إذا اعتكف، دخل قُبَّته وحده، وكان لا يدخل بيته في حال اعتكافه إلا لحاجة الإنسان، وكان يُخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة، فترجِّله، وتغسله وهو في المسجد وهي حائض[2]، وكانت بعض أزواجه

ولا يخرج بذلك عن مقصود الاعتكاف، بل يكون ذلك عين مقصوده، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخارى ٤٢/٩ في فضائل القرآن: باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي-صلى الله عليه وسلم-٢٤٥/٤ في الاعتكاف: باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان، والدارمي ٢٧/٢، وأحمد ٣٣٦/٢ و ٣٥٥، وابن ماجه (١٧٦٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مالك ٣١٢/١، والبخاري ٢٣٦/٤، ومسلم (٢٩٧) في الحيض: باب جواز غسل الحائض رأس زوجها.

تزوره وهو معتكف. فإذا قامت تذهب، قام معها يقلبها، وكان ذلك ليلا[1]، ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقبلة ولا غيرها، وكان إذا اعتكف طُرح له فراشه، ووضع له سريره في معتكفه، وكان إذا خرج

(١) أخرجه البخارى ٤/٢٤٠، ٢٤٢ في الاعتكاف: باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد؟، وباب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، ومسلم (٢١٧٥) في السلام: باب بيان أنه يستحب لمن رئى خالياً بامرأة أن يقول: هذه فلانة من حديث صفية قالت: كان النبي-صلى الله عليه وسلم-معتكفا فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي-صلى الله عليه وسلم-أسرعا، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم: "على رسلكما، إنها صفية بنت حيي" فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: "إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً" أو قال: "شيئا".

لحاجته مر بالمريض وهو على طريقه، فلا يُعرِّج عليه ولا يسأل عنه[1]. واعتكف مرة في قبة تُركية، وجعل على سدتها حصيرا[2].

كل هذا تحصيلا لمقصود الاعتكاف وروحه، عكسَ ما يفعله الجهال من اتخاذ المعتكف موضعَ عشرة، ومجلبة للزائرين، وأخذهن بأطراف الأحاديث بينهم، فهذا لون، والاعتكاف النبوي لون[3]. والله الموفق.

---

(١) قال محققه: أخرجه أبو داود (٢٤٧٢) في الصوم: باب المعتكف يعود المريض من حديث عائشة، وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، قلت: وضعفه كذلك الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٧) (٢١٥) من حديث أبي سعيد . وقوله: "قبة تركية" أى: قبة صغيرة من لبود.

(٣) لله در الإمام بن القيم فيما نبه عليه، فليت قومى يعلمون.